ملامح التفكيكية بالنص القرآني

Aspects of Deconstruction in the Quranic Text

“古兰经文本的解构特征”

الأستاذ الدكتور مجدي محمد حسين

أستاذ علم اللغة والنحو بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

By

Prof. Dr. Magdy Mohammed Hussein

Professor of Arabic Linguistics and Grammar at the Faculty of Arts – Alexandria University

Email: dmagdy_hussein@hotmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٢/٦/١٦

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٢/٦/١٦

ملخص البحث

ظهرت التفكيكية منهجًا فلسفيًا ونقديًا ولغويًا على أنقاض البنيوية، وقالت بانتشار المعنى وبعثرته وتناثره، وأكدت على أن المعنى في حالة تأجيل وإرجاء، ومن مفرداتها الهدم والتقويض لإعادة البناء، هذا كله ما حاولت التماسه في القرآن على وجل وحظر وحيطة، فيما يساعد على فهم النص وتفسيره وليس هدمه وتقويضه.

الكلمات المفتاحية:

التفكيكية – Deconstruction بعثرة المعنى وانتشاره – Dissemination of *Différance (Difference and* الاختلاف والإرجاء – Meaning, *Deferral)* الهدم والتقويض – Demolition and Subversion.

Abstract

Deconstruction emerged as a philosophical, critical, and linguistic method after the downfall of structuralism. Deconstruction posited the dissemination or dispersal of meaning and maintained that meaning is always deferred. Among the terms of deconstruction are demolition and subversion for reconstruction. This is all what I attempted to scrupulously scrutinize in the Quran.

مقدمـة

التفكيكية "Deconstruction" مصدر صناعي مأخوذ من التفكيك، هو فك الارتباط، أو حتى تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها، أي إنكـار قـدرة اللغـة علـى أن تحيلنـا إلى أي شـيء أو إلى أي ظـاهرة إحالـة موثوقًـا بها.[المصطلحات الأدبية الحديثة: د. محمد عناني]

ظهرت التفكيكية في ١٩٦٠م رد فعل على البنيوية، وهيمنة اللغة، وتمركز العقل، وهيمنة اللسانيات على كل حقول المعرفة، وأصبحت التفكيكية ابتداءً من سنة ١٩٧٠م منهجية نقدية أدبية في الثقافة الأنجلو سوكسونية، وآلية للبلاغة والتأويل، وقد ظهرت هذه المنهجية في سياق ثقافي خاص يتمثل في تقويض مقولات اللسانيات الغربية، وهدم المرتكزات البنيوية، في إطار ما يسمى بـ (ما بعد الحداثة) "Post Modernism"، وظهور جماعة "تيل كيل"، وجماعة "ييل" Yale الأمريكية.

أصبحت التفكيكية منهجية مطبقة في الفلسفة والأدب والفن وجميع حقول الثقافة، وخاصة في الثقافة الأنجلو سكسونية، وقد تم ترحيلها من حقل الفلسفة واللاهوت إلى حقل الأدب والبلاغة والتأويل مع جماعة "ييل"، ومن المعروف أن التفكيكية هي طريقة

لفضح الأوهام والأخطاء الشائعة، واكتشاف المتناقضات في الأفكار والمعاني والاتجاهات والمعتقدات، وتعرية أوهام الإيدلوچيا، وتشغيلها أداة للحوار والاختلاف البناء، واستعمالها آلية للحفر والنبش والتنقيب في النصوص والخطابات، وآلية منهجية لإعادة قراءة التاريخ، وقراءة الهامش في تقابله مع المركز. [نظرية النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، د. جميل حمداوي، ٢٠١١]

يقول د. جميل حمداوي: استهدفت التفكيكية (ما بعد الحداثة) تقويض المقولات المركزية الغربية الكبرى، كالدال والمدلول، واللسان والكلام، والحضور والغياب، إلى جانب انتقاد مفاهيم أخرى، كالجوهر والحقيقة والعقل والوجود والهوية عن طريق التشريح والتفكيك والتقويض والتشتيت، والتأجيل.

إن التفكيك قراءة ثانية للخطابات والنصوص والأنظمة الفكرية، قراءة لا تتم إلا من خلال تفكيك عناصر هذا الخطاب وأجزائه المكونة له، وذلك بهدف إدراك معانيه الخفية النائمة خلف الدوال ثم إعادة هندسة معاني النص وتشكيلها تشكيلًا جديدًا، إنها قراءة تحولت إلى كتابة على أنقاض كتابة أخرى وهي صورة إبداعية جديدة وفق رؤية مغايرة تستهدف الكشف عن المعاني الغائبة، المعاني التي تعطي للخطاب الأدبي شرعيته في ضوء الأنساق المعرفية الأخرى، فالتفكيكية تشبه البعثرة أو محاولة إعادة التركيب من جديد.[التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية].

يمكِّن المنهج التفكيكي الباحث من التعمق والاندماج في صلب الموضوع، ويساعد على الوصول إلى إجابات عن الأسئلة التي تثار حول النص، وذلك بفضل قدرة التفكيك على التفسير الذي يزيل الغموض، ويظهر الغايات المقصودة من النص بوضوح ودون تزيد على صاحبه، وإظهار المعاني الدفينة في النص، وإجلاء مضامينه على نحو دقيق.

وأي مناقشة للتفكيك لابد أن تبدأ بالقارئ، وتجربة القارئ التي لا يوجد قبل حدوثها شيء فهو يفكك النص ويعيد بناءه على وفق آليات تفكيره وهو بذلك يعتمد على آليات الهدم والبناء من خلال القراءة.

يتجه التفكيك بشكل أساس إلى نقد الطرح البنيوي، وإنكار ثبات المعنى في منظومة النص، واختزال الفرد المنتج، وتحويل مسار السلطة الدلالية إلى حركة الدال، وتحليل الهوامش والفجوات والتوقفات والتناقضات والاستطرادات داخل النصوص، بوصفها صياغات تسهم في الكشف عن ما ورائيات اللغة والتراكيب "Meta language".

[فلسفة التفكيك عند دريدا، د. محمد سالم سعد الله]

"لا شيء خارج النص": تشكل هذه العبارة أساسًا من أهم أسس النظرية التفكيكية، وقد عبر "دريدا" عن ذلك بقوله: **"لا يوجد شيء خارج النص"**، ومعنى ذلك رفض التاريخ الأدبي التقليدي ودراسات تقسيم العصور ورصد المصادر لأنها تبحث في مؤثرات غير لغوية وتبعد بالناقد عن عمل الاختلافات اللغوية.

تناثر المعنى وبعثرته وانتشاره

للكلمة عند "دريدا" ثلاثة مستويات:

(١) معنى النص منتشر ومبعثر فيه كبذور تنثر في كل الاتجاهات، ومن ثم لا يمكن الإمساك به، تشتيت المعنى: لعب حر لا متناهٍ لأكبر عدد ممكن من المعاني.

(٢) تأخذ الكلمة (وكأن لها دلالة دون أن تكون لها دلالة) أي أنها تحدث أثر الدلالة وحسب.

(٣) نفي المعنى.

[الفكر المعاصر، سلسلة أوراق فلسفية، جاك دريدا والتفكيك، د. أحمد عبد الحليم عطية]

إن الوحدة الإنتاجية لعلم الكتابة وهي (الأثر) تقود إلى بنود أخرى في سلسلة الطرح التفكيكي، ومن تلك البنود مصطلح الانتشار أو التشتيت Dissemination الذي يوحي بتكاثر المعنى وانتشاره بطريقة يصعب ضبطها والتحكم بها، وهذا التكاثر يوحي باللعب الحر "Free play" الذي لايتصف بقواعد تحد هذه الحرية بل هو في حركة مستمرة تبعث المتعة، وتثير عدم الاستقرار وعدم الثبات ويتسم بالزيادة المفرطة، ويتجلى ذلك في مصطلح Pharma Kon الذي يعني (الدواء، السم، العلاج، الترياق...).

ويأخذ مصطلح تناثر المعنى بعدًا خاصًا عند "دريدا" الذي يركز على فائض المعنى وتفسخه وهو سمة تصف استخدام اللغة عامة، كانت ترجمته هو الآخر موضوع اختلاف بين النقاد العرب، فبينما اختار الرويلي والبازعي عن ترجمته "الانتشار والتشتيت"، اختار المسيري ترجمته "تناثر المعنى".

****

والنص القرآني حمَّال وجوه كما نُقل عن علي بن أبي طالب فيتعذر والحال كذلك القطع بالمعنى المراد والمقصود، إذ لم يُنقل عن الرسول تفسير هذا النص لطبيعة الظروف في السنوات العشر الأولى بمكة بعد نزول الوحي، ولكثرة المشاغل في تأسيس الدولة وكثرة الغزوات بالمدينة، كما أن الصحابة كانوا يتحرجون أن يسألوا عن معنى الآية والمراد منها.

قال تعالى: (**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**) [البقرة: ٢٩] فيه ستة أقاويل:

وسوف نتناول طائفة من الآيات أردنا أن ندلل من خلالها على غياب المعنى وإرجائه وتناثره وبعثرته بالمعنى الذي أشار إليه التفكيكيون أو قريب منه:

أوردوا في قوله تعالى: (**آلم**) [البقرة:١] ثمانية أقوال:

القائل	المعنى
قتادة وابن جريج	اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر.
زيد بن أسلم	اسم من أسماء السور.
السدي والشعبي	اسم الله الأعظم.
ابن عباس وعكرمة	قسم أقسم الله تعالى به.
ابن مسعود وسعيد بن جبير	الألف من (أنا)، واللام من (الله)، والميم من (أعلم)، فكان معنى ذلك: "أنا الله أعلم".
حُيي بن الأخطب	الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون.
الشعبي	سر الله فلا تطلبوه.
عمر وعثمان	من المكتوم الذي لا يفسر.

بل أوردت كتب علوم القرآن مايزيد على عشرين قولًا في معاني هذه الحروف.

قال تعالى: (**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**) [البقرة: ٢٩] فيه ستة أقاويل:

القائل	المعنى
الفراء	أي: أقبل عليها.
قال بعضهم	عمد إليها وقصد إلى خلقها.
المفضل	فعل الله تحول إلى السماء.
الحسن البصري	استوى أمره وصنعه الذي صنع به الأشياء إلى السماء.
قال بعضهم	ثم استوت به السماء.
الربيع بن أنس	الارتفاع والعلو، والمقصود به الدخان.

قال تعالى: (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ**) [البقرة: ٢٣٨]:

القائل	المعنى
عائشة وحفصة	صلاة العصر.
عمر وعلى	صلاة الفجر.
قال بعضهم	صلاة الظهر.
ابن عباس	صلاة المغرب.
قال بعضهم	صلاة العشاء.
معاذ بن جبل	الصلوات الخمس.
قال بعضهم	صلاة الجمعة.
قال بعضهم	العتمة والصبح.
قال بعضهم	الصبح والعصر معًا.

وانظر بقية هذه الأقوال في تفسير ابن عاشور.

قال تعالى: **(قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ)** [الحجر: ٧٠]:

القائل	المعنى
ابن عباس	كل ذي روح.
البجلي	الناس.
ابن عباس	الإنس والجن والملائكة.
أبو عبيدة والفراء	الإنس والجن والملائكة والشياطين.
ابن عطية	الثقلان.
أبو معاذ	بنو آدم.
الصادق	أهل الجنة والنار.
عبد الرحمن بن زيد	المرتزقون.
الحسن وقتادة	كل مصنوع.
قال بعضهم	الروحانيون.
الطبري	ألم ننهك أن تضيف أحدًا.
قال بعضهم	ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة؛ فإنا نرتكب معهم الفاحشة.

قال تعالى: **(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ)** [النحل: ٢]:

القائل	المعنى
ابن عباس	الوحي والنبوة.
الربيع بن أنس	القرآن.
ابن عيسى	بيان الحق الذي يجب اتباعه.
مجاهد	أرواح الخلق.

الحسن وقتادة	الرحمـة.
الماوردي	الهدايـة.

قال تعالى: **(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)** [النحل: ٧٢]:

القائل	المعنى
أبو عبيدة	العمل والخدمة.
الخليل بن أحمد	الخدم والأعوان.
الحسن	بنو ابنك.
ابن عباس والأزهري	أولاد الأولاد.
ابن عباس	البنون صغار الأولاد، والحفدة كبارهم.
مقاتل	البنات.
ابن عباس	أولاد الزوجة من غير الزوج التي هي في عصمته.
ابن مسعود	الأصهار.
مجاهد	الأنصار والأعوان والخدم.
قالت فرقة	البنون.

قال تعالى: **(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)** [الكهف: ٩]:

القائل	المعنى
ابن عباس	اسم القرية التي كانوا فيها.
الحسن	اسم الجبل.
الضحاك	اسم الوادي.
سعيد بن جبير	اسم كلبهم.

قال بعضهم	اسم لكل كهف.
مجاهد	الكتاب الذي كتب فيه شأنهم.
أبو صالح	الدواة بالرومية.
سعيد بن جبير	قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف.
الضحاك	بلدة بالروم.
ابن عباس	اسم قريتهم.
قال بعضهم	لوح من ذهب تحت الجدار أقامه الخضر عليه السلام.

قال تعالى: (**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**) [الحج: ٣٤]:

القائل	المعنى
مجاهد	المطمئنون إلى ذكر إلاههم.
قتادة	المتواضعون.
الحسن	الخاشعون.
يحيى بن سلام	الخائفون.
إبراهيم النخعي	المخلصون.
الكلبي	الرقيقة قلوبهم.
مجاهد	المجتهدون في العبادة.
مجاهد	الصالحون.
الخليل بن أحمد	الذين لا يظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا.
الماوردي	الراضون بقضاء الله تعالى.

***

الإرجـــاء

لقـد رفـض التفكيكيـون شـفافية اللغـة وذلـك مـن خـلال تأديـة المعـنى بسـهولة وبطريقـة مباشـرة، وقـالوا بغموضـها وتأجيلهـا وإرجائهـا مـن حيـث الـدلالات التـي تحملهـا، ومعنى ذلك أنهم جعلوا المعنى غير حاضر، وغير متحقق من خلال اللغة فقط ومن خلال قراءتها قراءة واحدة، والخطاب الأدبي عند التفكيكيين وحسب مقولة الاختلاف خطاب شاسع وعريض، خصوصًا أن المسافة بين دواله ومدلولاته شاسعة كذلك، وهذه المسافة يـزداد اتسـاعها في ظـل مبـدأ الاخـتلاف، الـذي يوجـد سـواء في الكتابـة أم في القـراءة، فالاختلاف بكل معانيه يحيل إلى التعدد والكثرة والزيادة في التأويل والتفسير للنص الأدبي وهـو هـدف التفكيكيين[التفكيكيـة في الخطـاب النقـدي المعاصـر، د. بشـير تاويريـت، ص ٥٣]

إن القـراءة التفكيكيـة لا تسـلم بنتـائج القـراءة، بـل تعتـبر القـراءة المنجـزة غـير نهائيـة، ولهـذا تمـارس التأجيـل والإرجـاء عـبر اسـتخدام مفهـوم Difference والـذي يعـين الإخلاف والاختلاف، أي التأجيل والإرجاء والمباينة.

فـالإخلاف أو الإرجـاء والتأجيـل تتمحـور حـول كـون العلامـة (الكلمـة) في الـنص الأدبي ترجئ دلالتها مع كل قراءة، ويترتب على ذلك أن العلاقة اللغوية في سياقها النصي إنما تتعالى عن التحديد، تحديد الدلالة، وهو السبب الذي جعل "دريدا" يحدث تغيرًا في كلمة الاختلاف وذلك لتلائم هذا المعنى: معنى الإخلاف والإرجاء والتأجيل، يقول محمد عنـاني بصـدد هـذه الفكـرة: وأمـا الإرجـاء فهـو عكـس الحضـور، أي أننـا حـين نعجـز عـن الإتيـان بشـيء أو بفكـرة، فـنحن نشـير إليهـا بكلمـة، ومـن ثم فـنحن نسـتخدم العلامـات مؤقتًا ريثما نتمكن من الوصول إلى الشيء أو الفكرة، وعلى هذا فإن اللغة هي حضور مرجأ للأشياء والمعاني، ولا يمكن إذن حضورها في وجود اللغة.

وبهذا الفهم لمعنى الإرجاء يُقصي جاك دريدا ميتافيزيقيا المعنى عن الاستقرار في النص، وهذا ما يجعل مفهوم الإرجاء ينطوي على مفهومٍ آخر وهو مفهوم التبدد أو الانتشار الذي يبدو على علاقة وثيقة بالنص الأدبي، ومفاده أن النص الأدبي لا ينفك، ينتشر، ويتبعثر، ويتشظى إلى ما لانهاية، أي أن العلامة تظل في حالة توالد غيره محدود للظلال والمعاني مع كل قراءة، وينتج عن ذلك أن المعنى ليس حاضرًا في دليل معين، كونه مبعثرًا عن سلسلة من الدلالات، أي غير حاضر بشكل كامل في أي دليل محدد، وهذا ما يعطيه نوعًا من التبعثر بين الحضور والغياب[التفكيكية والنقد العربي الحديث، د. غسان السيد]

يقول محمد عناني: مصدر المصطلح هو نظرية "دريدا" في كتابه "مواقف Positions" (١٩٨١) التي تزعم عدم وجود أي معان محددة للكلمات، وأن أقصى ما نستطيع إدراكه هو الاختلاف فيما بينها وإرجاء المعنى إلى أجل غير مسمى، وهو يرادف بين ذلك وبين مصطلح آخر هو Gram "أي الكتابة".[المصطلحات الأدبية الحديثة]

ومصطلح Difference سبب مشكلة في الترجمة بسبب الالتباس الحتمي المرتبط به، فترجمة البعض (الاختلاف والإرجاء) وترجمة آخرون (الاختلاف)، أما الدكتور عبد الوهاب المسيري فترجم هذا الاصطلاح إلى "الاخترجلاف" وهي كلمة قام بنحتها من كلمتي "اختلاف" و "إرجاء" على غرار كلمة ''Ladifferance'' التي نحتها "دريدا" من الكلمة الفرنسية ''Differ'' ومعناها أرجأ، والكلمة ''Differance'' بمعنى اختلاف وتحمل معنى الاختلاف (في المكان) والإرجاء (في الزمان).

****

والنص القرآني في جزء كبير منه ظني الدلالة، فكثير من معانيه غير واضحة حتى على من نزل عليهم من الصحابة، وهي في حالة أشبه بالإرجاء والتأجيل، فابن عباس مثلًا لم يكن يعرف معنى (فاطر) إلى أن سمع أحدهم يقول عن بئر (أنا فطرتها) أي: بدأت

حفرها، وعندها عرف معنى (فاطر)، ولم يكن يعرف معنى (الحميم والغسلين) ولعله عرف المعنى بعد ذلك، كما أن ابا بكر وعمر لم يعرفا معنى (أبّا) من قوله تعالى: **(وفاكهة وأبّا)** [عبس:٣١]، ولم يعرف عمر معنى (التخوف) حتى أعلمه أحدهم، وسُئل الحسن عن قوله تعالى: **(فمرت به)** [الأعراف:١٨٩] فقال: لا أدري...إلخ.

بل إن معنى آيات القرآن وفهمها خضع لنوع من التطور والتجديد بحسب زيادة الثقافة والمعلومات وبحسب تطور العلم وانكشاف بعض الأمور المغلقة وزيادة الوعي والفهم، فقد فسروا قوله تعالى: **(بلى قادرين على أن نسوي بنانه)** [القيامة: ٤]، بلى قادرين على أن نسوي مفاصله ونعيدها للبعث خلقًا جديدًا، أو أن نجعل كفه التي يأكل بها ويعمل حافر حمار أو خف بعير، فلا يأكل إلا بفيه، ولا يعمل بيده شيئًا، وكاد الفهم للآية في العصر الحديث أن يستقر على أن الآية تتعلق ببصمة الإصبع بعد أن كشف لنا العلم اختلاف البصمات من فرد لآخر.

كما فسروا قوله تعالى: **(مرج البحرين يلتقيان)** [الرحمن:١٩] في ضوء المعلومات المتاحة وقت نزول الآية: فالمعنى عند ابن عباس بحر السماء، وبحر الأرض، وقيل بحر الروم، وبحر فارس، ثم قالوا أخيرًا البحر المالح والماء العذب بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر.

وكذلك فسروا قوله تعالى: **(وجعل بين البحرين حاجزًا)** [النمل:٦١] بأنه حاجز معنوي، قال ابن عباس: حاجزًا؛ أي: سلطانًا من قدرته فلا هذا يغير ذاك ولا ذاك يغير هذا، والحجز المنع، وكأنه حاجز معنوي غير مرئي، ويمكن أن يكون المقصود بالحاجز هو هذا المانع الحسي الفاصل بين البحرين الأبيض والأحمر والذي أزاله الإنسان بحفر قناة السويس، أو هذا الحاجز الذي كان يفصل المحيط الأطلسي عن المحيط الهادي وتم إزالته بحفر قناة (بنما).

قال تعالى: (**ويعلم ما في الأرحام**) [لقمان: ٣٤]، قال الزمخشري: المراد بقوله: أَذَكر أم أنثى؟ أَتَام أم ناقص؟ وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال.

ولابد أن يختلف تفسير المحدثين للآية فيما يشبه الإرجاء بعد أن تمكن العلم من معرفة نوع الجنين بل والتحكم في ذلك، وعليه يكون المعنى: "يعلم ما في الأرحام إن كان صالحًا أم فاسدًا، شقيًا أم سعيدًا، إلى غير ذلك من الأمور التي يتعذر على العلم أن يكشف عنها.

قال تعالى: (**أم من جعل الأرض قرارًا**) [النمل: ٦١]، المعنى عند الرازي وصاحب البحر المحيط في ضوء الإمكانات العلمية المتاحة، أي: ساكنة غير مضطربة ولا تتحرك، ويختلف الفهم للآية عند الألوسي وعند صاحب "التحرير والتنوير"، فقال الأول: (قرارًا) بمعنى مستقرة لا بمعنى قارة غير مضطربة. وقال الثاني: والمعنى: جعل الأرض ثابتة قارة غير مضطربة، وهذا تدبير عجيب ولا يدرك تمام هذا الصنع العجيب إلا عند العلم بأن هذه الأرض سابحة في الهواء متحركة في كل لحظة وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها.

فنظرية التلقي تؤمن بقصدية المؤلف، وهي قصدية يجب تحديدها في البعدين التاريخي والمعاصر، أي من منظور تلقي القارئ التاريخي، القارئ الذي كتب له المؤلف النص، وهو قارئ تعامل مع النص على أساس أفق توقعات معاصر لكتابة النص، أما البعد المعاصر فيتمثل في القارئ الحديث، قارئ القرن العشرين.[الخروج من التيه، د. عبد العزيز حمودة، ص ١٢٠]

****

الهدم وإعادة البناء

ظهرت هذه المنهجية في سياق ثقافي خاص يتمثل في تقويض مقولات اللسانيات الغربية وهدم المرتكزات البنيوية، في إطار ما يسمى بـ (ما بعد الحداثة) Post ''Modernism''، وظهور جماعة "تيل كيل"، وجماعة "ييل" الأمريكية، يقول د. جميل حمداوي: استهدفت التفكيكية (ما بعد الحداثة) تقويض المقولات المركزية الغربية الكبرى، كالدال والمدلول، واللسان والكلام، والحضور والغياب، إلى جانب انتقاد مفاهيم أخرى، كالجوهر والحقيقة والعقل والوجود والهوية عن طريق التشريح والتفكيك والتقويض والتشتيت والتأجيل.[نظرية النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، د. جميل حمداوي،٢٠١١م]

ويمكن تناول هذا الجانب والتماسه في القرآن، وفق فهمنا بأن يكون التفكيك الذي يسعى إلى إعادة التركيب، والهدم والتقويض الذي يعمل على إعادة البناء والصياغة، أي أقرب إلى التفكيك اللغوي، وهذا جلي وحاضر في القرآن، فنحن نقوم في كثير من الأحيان عند التعامل مع النص القرآني بتدخل من نوع ما لإعادة بناء الجملة وإعادة الصياغة، بل وفض الاشتباك وعملية أشبه بتصحيح التركيب لكي يتسق المعنى مع الفهم العام؛ إذ قد يقول التركيب شيئًا والذي نفهمه شيء آخر، فلابد من تعاون متعاطي القرآن مع النص لكي يستقيم له المعنى، يكون ذلك بإعادة الصياغة أو بإعادة ترتيب الجملة ومراعاة ما وقع في الآية من تقديم وتأخير أو جبر وإكمال ما يبدو كأنه نقص للتركيب.

من ذلك قوله: " **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**"(البقرة: ١١١)، التركيب هنا في حاجة إلى إعادة بناء، بل تجاوز هذا الأمر إلى التصويب والتصحيح وإعادة الصياغة، كأن التقدير: "وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان

هودًا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى"، خلافًا لما يفيده التركيب من أن الطائفتين تفوهتا بهذه المقولة مجتمعين.

وقوله: " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** " (المؤمنون: ١٢ – ١٣)، نعود إلى مطلع هذه الآيات فلطالما سمعناها وقرأناها دون أن يستوقفنا غالبًا معناها وطريقة نظم مبناها، فمرجع الضمير في قوله (ثم جعلناه) يعود على الإنسان المشار إليه في الآية السابقة، فكيف يكون الإنسان بعد خلقه نطفة من سلالة من طين وقد تم خلقه إنسانًا، فالآيات هنا كأنها في حاجة إلى إعادة بناء، فالإنسان الذي يخلقه سبحانه من طين ليس هو الذي جعله نطفة في قرار مكين، وإنما كان ذلك لذريته كما جاء في موضع آخر: " **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ** " (السجدة: ٧ – ٨)، ونحن نفهم المعنى ضمنًا وإن كان التركيب يقول شيئًا آخر؛ إذ كيف يجعله في قرار مكين داخل الرحم بعد أن تم خلقه من طين، فالكلام بدءًا عن آدم الذي خلقه من تراب في آية ومن طين في أخرى ومن صلصال في ثالثة.

قوله: "**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** " (آل عمران: ١١٠)، تشعر كأن الآية الأولى في حاجة إلى إعادة ترتيب؛ إذ يفترض أن يكون الإيمان بالله أولًا ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ كيف يقومون بهذه الأفعال قبل إيمانهم أو قبل مجيئه متأخرًا عن هذه الأفعال المترتبة عليه وليست تالية له؟

وقد جاء النظم على الأصل والترتيب المعهود في الآية بعدها: قوله: "**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ** " فبدأت بالإيمان بالله واليوم الآخر ثم بعد ذلك يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسارعة في الخيرات، فلا يستقيم القيام بهذه الأمور دون أن يسبقها الإيمان بالله واليوم الآخر.

قوله: " **الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا** " (آل عمران: ١٦٨).

قوله: "**وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** " (آل عمران: ١٦٨)، المتبادر إلى الفهم أن العصبة هي التي تنوء بحمل هذه المفاتح – أي يثقل عليها حملها– وليس العكس لأن المفاتح محمولة وليست حاملة، وقيل في الآية على هذا قلب عند أبي عبيدة ومن تبعه، والأصل (تنوء العصبة بها) أي: تنهض، ويمكن أن نضم إليه قوله: "**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**" (الإخلاص: ٤) فالكلام بعد إعادة الترتيب (ولم يكن أحد كفوًا له) فحدث نوع من التقديم والتأخير لأجل الفاصلة، ومنه قوله: "**لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ** " (البقرة: ١٨٨). بعد هدمها لإعادة ترتيبها يصير التقدير: "لتأكلوا أموال فريق من الناس" فالأموال هي المأكولة وليس الفريق.

الخاتمة

حاولت في هذا البحث التماس معالم التفكيكية في القرآن، والتي قال بها دريدا ردًا على البنوية وتالية لها، أي ما بعد الحداثة.

فقد قالت النظرية بتناثر المعنى وبعثرته وانتشارها وتشتته، وهذا يمكن التماسه في كثير من المواضع بالقرآن عندما تتعدد الأقوال والمعاني، وتكثر الآراء في معنى الآية بحيث لا يمكن القطع بأحدها.

وقالت النظرية بتأجيل المعنى وإرجائه وعدم إمكانية القطع به، وقد دللنا على مثله في القرآن خصوصًا في النظريات العلمية، وما يكشف عنه العلم، والذي يستدعي معه طرح معنًى جديد لم يخطر ببال الأوائل كما أوضحنا.